

تاريخ الفرائض بالزيتونة

د. فتحي العبيدي (*)

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه تسليماً، وبعد، فهذه مجرد محاولة للتعرف على أهم مراحل تاريخ الفرائض بالزيتونة جامعاً وجامعة، منذ تأسيس الجامع الأعظم إلى العصر الحاضر، وليس القصد في هذا المقام استقراء وتتبع جميع فترات هذا التاريخ، فهذا الأمر متروك لفرص أخرى، وحسبي فتح الباب أمام الباحثين لمزيد الدراسة والتقصي، والهدف منها إبراز مدى مساهمة الزيتونة في خدمة فنّ الفرائض الشريف، ونشره بين الأجيال من خريجها.

لا شك أنّ الفرائض كانت تدرّس في الجامع الأعظم جامع الزيتونة - الذي أسّس سنة 116 هـ / 734 م على يد القائد الأموي عبيد الله بن الحبحاب - منذ عهد الفقيه أبي محمد خالد بن أبي عمران التجيبي (ت 127 هـ / 744 م)، وتلميذه الفقيه علي بن زياد التونسي (ت. 183 هـ / 799 م)، صاحب الإمام مالك ابن أنس (ت. 179 هـ /

(*) أستاذ القراءات بالمعهد الأعلى للحضارة الإسلامية.

795 م)، وشيخ البهلول بن راشد (ت 182 هـ / 798 م) وأسد بن الفرات (ت 214 هـ / 829 م)، والإمام سحنون (ت. 240 هـ/854م)، ويعود الفضل إلى علي بن زياد في نشر المذهب المالكي في تونس، وتعريف أهلها بكتاب الموطأ للإمام مالك الذي يرويه عن مؤلفه بدون واسطة، ويعتبر أول من أدخله إلى تونس، ويحتوي الموطأ على كتاب الفرائض، ومعلوم أنّ فرائض الإرث باب من أبواب الفقه الإسلامي، ولكنها تعتبر علما مستقلاً عنه، رغم أنها تدور في فلكه ولا تخرج عن دائرته، وذلك بسبب ارتباطها بعلم الحساب، واحتوائها على عدّة تفصيلات وتفرّعات.

ثمّ استمرّ تعليم الفرائض بجامع الزيتونة في العصور التالية على يد الفقهاء، ومنهم أبو العباس عبد الله بن أحمد الإبياني (ت. 352 هـ/ 963 م)، الذي كان يدرّس فيه الحديث ومسائل الفقه أيضاً، ثمّ لما انتظم التعليم في الجامع الأعظم بصورة نهائية ومستمرّة خصوصاً منذ ظهور الدولة الحفصيّة (ت 603 هـ / 1206 م - 981 هـ / 1476 م) كان لدروس الفرائض حظها في البرامج الرّسميّة.

ومن العلماء الذين درّسوا الفرائض بجامع الزيتونة أذكر الإمام ابن عرفة الورغمي (ت 803 هـ/ 1401 م) فقيه تونس وعالمها في عصره، والإمام الخطيب والمدرّس بالجامع الأعظم، صاحب كتاب في الفرائض عنوانه "مختصر فرائض الحوفي"، وهو اختصار لفرائض أبي أحمد بن محمد خلف الحوفي الإشبيلي الأندلسي المالكي (ت. 588 هـ / 1192 م) المسمّى "الحوفية" (توجد نسخة مخطوطة منها مع شرح العقباني بدار الكتب الوطنيّة بتونس رقمها : 7824، وقد شرّحه أبو عبد الله محمد بن يوسف السنوسي (ت 895 هـ / 1489 م).

وقد كان هذا المختصر من جملة الكتب المقررة للدراسة في العهد الحفصي، وخاصة في زمن الشيخ محمد بن عرفة.

ومنهم الشيخ محمد زيتونة (ت 1139 هـ / 1726 م) صاحب الحاشية الشهيرة على تفسير أبي السعود، والذي كان يدرس الفرائض باعتماد متن الرحيبة لابن موفق الدين الرحبي (ت. 577 هـ / 1181 م).

ومنهم الشيخ أبو عبد الله محمد بن حسن الدرنأوي المفتي (ت 1119 هـ / 1784 م) صاحب حاشية على شرح الدرّة البيضاء للشيخ عبد الرحمن الأخصري (ت 983 هـ / 1575 م) في الفرائض (هذه الحاشية مطبوعة بمطبعة التقدّم العلميّة بمصر، 1325 هـ / 1907 م)، وقد شهد له مترجموه بالبراعة في الفرائض، وحاشيته المذكورة تدلّ على ذلك، ويدلّ عليه أيضا قول المؤرخ أحمد ابن أبي الضياف (ت. 1291 هـ / 1874 م) : "أخذ عنه جماعة من الأعيان، وحاز قصب السبق في هذا الشأن وتصدّر للفتوى، فبلغ الغاية القصوى" ومنهم الشيخ العارف أبو عبد الله محمد بن ملوكة (ت 1276 هـ / 1860 م) صاحب الشرح الكبير على الدرّة البيضاء للأخصري، الذي توجد منه نسخة مخطوطة بدار الكتب الوطنيّة بتونس رقمها : 6125، وهذا الشيخ مشهود له بإتقان فنّ الفرائض، وبالتبريز في العلوم الشرعية وغيرها، يقول ابن أبي الضياف مبينا مكانته العلميّة: "إذا استفتح الدرس ترى البحر العجاج، والوابل الثجاج، يوضح الغامض، بفكر يسبق البرق الوامض، وله قدم راسخ في الفرائض والعلوم العقلية، كالحساب والهندسة، وله في معارف التصوّف ذوق واطلاع، ورسوخ قدم وطول باع، تقف دونه الأطماع".

ومنهم الشيخ أبو عبد الله فخر الدين محمد بن يالوشه المالكي، شيخ الإقراء في عصره (ت. 1314هـ / 1896 م) صاحب شرح الدرّة البيضاء للأخضري (مخطوط) ومنهم الشيخ أبو اسحاق إبراهيم بن أحمد المارغني، شيخ الإقراء والمفتي المالكي في عصره (ت. 1349 هـ / 1930 م) صاحب نظم في جهات العصوبة السبع (مخطوط)، شرحه تلميذه الشيخ محمد المكني.

ومنه الشيخ محمد رضوان (ت. 1352هـ / 1933 م) القاضي والمفتي الحنفي، وهو أوّل من أشاع طريقة العمل بالتقريط المنيني الحديث (النسبة المائويّة) في الفرائض بتونس، وحرّض عدول الإشهاد عليها، وصارت هذه الطريقة معتمدة في مجالس القضاء الشرعي، وفي المجلس المختلط العقاري وفي المحاكم المدنيّة الآن. ومنهم الشيخ العلامة محمد البشير النيفر (ت. 1374 هـ / 1974 م) القاضي والمفتي، والشيخ محمد الهادي العلّاني (ت. 1397هـ / 1977 م). ومنهم الشيخ محمد الصّادق الشطّي (ت. 1364هـ / 1945 م) صاحب الكتابين الشّهيرين لباب الفرائض والغرة في شرح فقه الدرّة للأخضري. ومنهم المرحوم الشيخ الدكتور محمد عز الدين سلام (ت. 1420هـ / 1999 م)، صاحب كتاب "نظام الإرث في الإسلام".

وسأعود بعد قليل للكلام بشئ من التفصيل عن الشيخين الأخيرين وآثارهما الهامة.

لقد كانت مادّة الفرائض تدرّس في الجامع الأعظم باعتماد عدّة كتب، أذكر فيما يلي أهمّها حسب التسلسل التاريخي.

(1) مختصر فرائض الخوفي لابن عرفة، وقد تقدّمت الإشارة إليه.

(2) شرح السيد علي السراجية، والسيد هو الشريف الجرجاني (ت. 816هـ / 1413م) والسراجية هي الفرائض السراجية للسجاوندي، سراج الدين أبي طاهر محمد بن محمد الحنفي (من علماء القرن 7 هـ / 13 م) (مطبعة الحلبي، مصر، 1363هـ / 1944م).

(3) شرح الشنشوري على متن الرحبية والشنشوري هو عبد الله بن بهاء الدين محمد العجمي الشافعي (ت. 999 هـ / 1590م) وشرحه على الرحبية يسمّى "الفوائد الشنشورية في شرح المنظومة الرحبية" (مطبعة دار الكتب العربية الكبرى، مصر، د.ت)

(4) شرح الدرة الصغير للشيخ ابن ملوكة.

(5) شرح الدرة لناظمها عبد الرحمان الأخضر (مطبعة التقدم العلمية بمصر، 1325 هـ / 1907 م).

(6) لباب الفرائض للشيخ محمد الصادق الشطّي.

(7) الغرة في شرح فقه الدرة للشيخ محمد الصادق الشطي.

والآن أعرف بالشيخين الجليلين المرحوم محمد الصادق الشطي، والمرحوم محمد عز الدين سلام وآثارهما.

أمّا الشيخ محمد الصادق الشطي، فهو أبو عبد الله محمد الصادق بن محمد الشطي الشريف المساكني، المدرّس المالكي من الطبقة الأولى بالجامع الأعظم جامع الزيتونة.

ولد بمدينة مساكن من عواصم الساحل التونسي سنة 1312هـ / 1894 م، وهو من بيت وجاهة وصلاح، ينحدر من النسب الطاهر الشريف، وقد نشأ نشأة صالحة، وتربّى تربية إسلامية صحيحة، أدخله والده إلى الكتاب لما بلغ الخامسة من عمره فحفظ القرآن الكريم كلّهُ عن ظهر قلب، وحفظ كثيرا من المتون، ثمّ قضى في التعليم الابتدائي

ثمانى سنوات، وقد ظهرت عليه فى هذه المرحلة النجابة والاجتهاد، ولما أتمّ تعلّمه الابتدائى أرسله والده إلى العاصمة تونس حيث درس بالجامع الأعظم، وذلك سنة 1325 هـ / 1907 م.

وكان مترجمنا مقبلا على الدراسة الزيتونية بجدة واجتهاد وصبر، واستمر على هذا المنوال حتى حصل على شهادة التطويغ سنة 1331 هـ / 1912 م. وقد تتلمذ الشيخ الشطى على أبرز شيوخ الزيتونة فى عصره، وفى مقدمتهم الأستاذ الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور (ت. 1393 هـ / 1973 م) شيخ الجامع الأعظم وفروعه، وأيضا الشيخ العلامة محمد العزيز جعيط (ت. 1389 هـ / 1970 م) شيخ الإسلام المالكي، والشيخ المحقق بلحسن النجار (ت. 1371 هـ / 1952 م) والشيخ العلامة صالح المالقي المفتى الأول المالكي (ت. 1375 هـ / 1956 م) ثم انتدب للتدريس بالجامع الأعظم بالطبقة الثالثة، رغم أنه كان يزاول التعليم العالى حسب النظام القائم يومئذ، ثم ارتقى إلى الطبقة الأولى سنة 1342 هـ / 1923 م، ولقد كانت هذه المرتبة أعلى مراتب التدريس فى جامع الزيتونة.

ولم يتقلّد الشيخ الشطى وظيفة أخرى مع التدريس، وقد أخذت عنه أجيال متعاقبة من الطلبة العلوم الشرعية، وقد أفادوا من علمه وصلاحه الشئ الكثير على امتداد ثلاثين عاما، وكانوا لا ينفكون عن شكره، والتّوئبه بخصاله والدّعاء له. وكان مترجمنا رحمه الله طاهر القلب، عفّ اللسان، يغلب عليه الحياء، صادق اللّهجة، حميد السّيرة، نقيّ العرض. توفي رحمه الله سنة 1364 هـ / 1945 م.

وقد ترك الشيخ الشطى، جملة من المؤلفات، تشهد بغزارة علمه وكفاءته العلميّة، نذكر منها ما هو خاص بالفرائض فى ما يلي :

1) لباب الفرائض : (276 ص) وهو أولى ثمراته وباكورة مجهوداته، وقد أذنت المشيخة العلميّة للجامع الأعظم برئاسة الشيخ صالح المالقي في إدراجه ضمن الكتب المقرّرة للدراسة للسنتين الأولى والثانية للمرتبة الثانوية للتعليم الزيتوني، فظهرت طبعته الأولى سنة 1353 هـ / 1934 م بالمطبعة التونسيّة. ثمّ توالى طباعته بعد ذلك، ومنها طبعة دار الغرب الإسلامي، بيروت 1408 هـ / 1988 م.

وقد قسّمه مؤلفه رحمه الله إلى مقدّمة وثلاثة أقسام: الفقه والحساب والعمل.

أمّا المقدّمة، فقد بيّن فيها المؤلف قيمة علم الفرائض المعنويّة، وذكر بحث النبي صلى الله عليه وسلّم على تعلّمه، وذكر الأسباب التي دعت به إلى تأليفه، ومنها استجابته لرغبة الكثير من أهل العلم.

وأمّا القسم الأوّل وهو قسم الفقه، فقد قسّمه المؤلف إلى مقدّمة وثمانية أبواب وخاتمة، فالمقدّمة تشتمل على تعريف الفن والحقوق المتعلّقة بتركة الميت، وأسباب الإرث وشروطه وموانعه والأبواب الأخرى تتناول الوارثين والوارثات وأصحاب الفروض والعصبة والحجب وأحوال الجد ومسائل المعادة والشواذ، وميراث الخنثى والولاء والخاتمة في كيفة النظر في الورثة.

وأمّا القسم الثّاني وهو قسم الحساب، فقد قسّمه إلى أربعة أبواب وخاتمة، فالأبواب الأوّل في حلّ الأعداد على أنمتها، والثّاني في الكسور الاعتياديّة، والثّالث في أعمال الكسور الأربعة، والرّابع في الاختبار، والخاتمة في بيان قاعدة التّناسب.

وأمّا القسم الثّالث، وهو قسم العمل فقد قسّمه إلى سبعة أبواب، الأوّل في تصحيح الفرائض، والثّاني في المناسخة، والثّالث في الوصايا،

والرّابع في العمل في الخنثى المشكل، والخامس في الصلح، والسادس في الإقرار بوارث، والسّابع في قسمة التّركات.

وقد اتّبع المؤلّف في لبابه أسلوباً سهلاً خالياً من التعقيد والغموض، وجمع فيه ما تشبّثت من مسائل هذا العلم، ووضّح ما أشكل، وبيّن فيه من الأعمال ما لم يسبق بوضعه، وألحق بالمباحث خلاصات، وجداول موضّحة، وتمارين تطبيقية، بما يعيّن الطالب والأستاذ في آن واحد. ومصادر هذا المؤلّف في هذا الكتاب متعدّدة منها شرح الدرّة للأخضري وشرح التسوّلي على التحفة لابن عاصم، وشرح فرائض المختصر لبنيس، ومختصر خليل، وحاشاية الشّيخ قنون على شرح الزّرّقاني على الموطأ، وحاشاية المهدي الوزّاني على شرح الداوودي على التحفة، والنّوازل للمهدي الوزّاني والحدود لابن عرفة.

(2) الغرّة في شرح فقه الدرّة : (83 ص) حين قرّر كتاب لباب الفرائض للدراسة بالجامع الأعظم ظهرت نتائجه الطيبة التي شهدت بفضل أسلوب المؤلّف - رحمه الله - ومنهجه، فدعا ذلك المشيخة العلمية إلى أن تطلب منه أن يضع شرحاً على غرارهِ لقسم الفقه من متن الدرّة البيضاء المشهور، الّذي نظّمه الشّيخ عبد الله الرّحمان الأخضري، ليكون الشّرح المطلوب كتابة دراسة لطلبة السّنة الرّابعة من المرتبة الابتدائية فقام - رحمه الله - بما دعتهُ إليه المشيخة العلميّة أحسن قيام، وألف كتابه الثّاني في الفرائض، فتلقّي بالقبول، وأجازته اللّجنة العلميّة برئاسة الشّيخ صالح المالقي، فطبع عدّة طبّعات، منها الطّبعة الثّانية الصّادرة عن مطبعة الإرادة بتونس، 1375 هـ / 1955 م.

وقد جرى المؤلّف في هذا الشّرح على نفس المسلك الّذي سلكه في كتابه الآخر لباب الفرائض، من حيث وضوح العبارة، وإلحاق التّمارين

التطبيقية بمباحث الكتاب، وجعل له خاتمة في تصحيح الفرائض وتأصيلها، والأنظار الأربعة، والعول، والانكسار.

وأما الشيخ المرحوم محمد عز الدين بن الصادق بن الحاج عبد السلام الغربي شهر سلام، المدرّس الرسمي بالجامع الأعظم وفروعه ثمّ المساعد بجامعة الزيتونة، فإنّ أصله من المغرب ثمّ استقرّ أجداده بتونس.

ولد سنة 1345 هـ / 15 مارس 1926 م بتونس، ونشأ في منزل والده المرحوم الصادق سلام، وبدأ حياته العلمية بحفظ القرآن الكريم، ثمّ زاول تعلّمه الابتدائي بفرع الصادقية، وحصل على الشهادة الابتدائية في جوان 1940 م، وواصل دراسته الثانوية بالمدرسة الصادقية، ثمّ حصل على شهادة البروفي (Brevet) للترجمة بين العربية والفرنسية في جوان 1947 م من المدرسة العليا للغة والآداب، ودرس كذلك في جامع الزيتونة الأعظم، وحصل منه على الشهادة الأهلية في جويلية 1945 م، وشهادة التحصيل في العلوم في جوان 1948 م، وشهادة العالمية في القسم الشرعي شعبة أصول الدين في أكتوبر 1951 م بملاحظة حسن.

وقد كان المرحوم مثالا للنجابة والاجتهاد، طيلة دراسته الابتدائية والثانوية والعالية، وقد أحرز على شهادة دكتوراه الحلقة الثالثة في العلوم الإسلامية في جويلية 1985 م، بملاحظة حسن جداً من الكلية الزيتونية للشريعة وأصول الدين، وأطروحته بعنوان "نظام الإرث في الإسلام وحركة الوارث بين الفروض وحجب النقص والإسقاط والتعصيب".

وقد تتلمذ شيخنا العزيز على الكثير من علماء عصره، أذكر منهم الشيخ محمد العزيز جعيط والشيخ محمد البشير النيفر، والشيخ محمد الهادي العلاني، الشيخ محمد الصادق الشطي، والشيخ محمد

الزّغواني (ت. 1399هـ / 1979م)، والشيخ أحمد بن ميلاد (ت. 1389هـ / 1970م) والشيخ محمد الشاذلي النيفر (ت. 1418هـ / 1997م) رحمهم الله جميعا.

وقد باشر المرحوم عدّة وظائف منها :

- مدرّس رسمي مالكي من الطبقة الثانية بالجامع الأعظم وفروعه ابتداء من سنة 1953م.

- أستاذ تعليم ثانوي بمعهد ابن خلدون، ومعهد ابن شرف.

- أستاذ تعليم ثانوي ملحق بوزارة التعليم العالي والكلية الزيتونية للشرعية وأصول الدين ابتداء من سنة 1978م.

- مساعد للتعليم العالي على مدى السنة الجامعية 1985م - 1986م.

- أستاذ متفرّغ بجامعة الزيتونة.

- الإمامة والخطابة بجامع الحلق بتونس العاصمة ابتداء من سنة 1965م إلى أن توفي رحمه الله تعالى.

ودرس المرحوم علوم اللغة العربيّة وآدابها، والعلوم الشرعيّة، وخاصة منها علم الفرائض الشّريف، وتخرّجت على يديه أجيال متعاقبة من الأساتذة والقضاة والمحامين، ومنهم كاتب هذه المداخلة، فقد تتلمذت عليه ابتداء من السنة الجامعية 1982م - 1983م بالكلية الزيتونية، ودرست عليه فنّ الفرائض الشّريف، وقد امتدّت علاقتي به - رحمه الله - على مدى سبعة عشرة عاما لازمته فيها، وأخذت من علمه الغزير، وأدبه الرّفيع، وخلقه القويم، ولم يكن بالنسبة إليّ مجرد أستاذ، بل كان أبا روحيا، وخلا وفيّا.

ويعتبر شيخنا المرحوم محمد عز الدين سلام أبرز أستاذ درّس الفرائض في الكلية الزيتونية ثم جامعة الزيتونة، وتوفي رحمه الله وجعل الجمعة مأواه سنة 1420 هـ / 1999 م.

وقد ترك لنا شيخنا مؤلفات علمية هامة، تدلّ على مكانته العلمية المرموقة، نذكر منها ما هو خاص بالفرائض، وهو كتاب "نظام الإرث في الإسلام وحركية الوارث بين الفروض وحجب النقص والإسقاط والتعصيب"، وهو مطبوع (308 ص) صدر عن المطبعة العصرية بتونس سنة 1424 هـ / 2003 م، بتقديمي وتحقيقي، وهو في الأصل أطروحة المرحوم لنيل شهادة دكتوراه الحلقة الثالثة كما سبق الإلماع إليه، وقد حضرت مناقشتها سنة 1985 م، واستمعت إلى تنويه لجنة المناقشة بهذا العمل الجليل، وتوصيتها بالمسارعة إلى طبعه وترويجه رجاء النفع العام للقراء والباحثين، لأنّ صاحبه راسخ القدم في أحكام الموارث، وكان يدرّسها على امتداد ثلث قرن أو يزيد، بما أكسبه خبرة واسعة.

وقد قسم المؤلف المرحوم كتابه إلى مقدّمة وأربعة أبواب وخاتمة، ذكر في المقدّمة أسباب التّأليف، ومنها شعوره بالمسؤولية التي أناطها النبي صلى الله عليه وسلّم بمن حذق هذا العلم.

أمّا الباب الأوّل، فبعنوان "الإرث قبل الإسلام" ويشتمل على ثلاثة فصول، الأوّل في الميراث عند العرب في الجاهلية، والثاني في الميراث عند اليهود، والثالث في الميراث عند الرّومان.

وأمّا الباب الثاني، فبعنوان "الإرث في الإسلام" ويشتمل على أربعة فصول، الأوّل مفهوم الموارث لغة واصطلاحاً، والثاني في الفرائض بين التبعية للفقهاء والاستقلال عنه، والثالث تاريخ تدوين الفرائض، والرابع مصطلحات هذا العلم.

وأما الباب الثالث، فبعنوان الأدلة الشرعية لأحكام الإرث وحركة الوارث بين الفروض وحجب النقص والإسقاط والتعصيب، ويشتمل على خمسة فصول، الأول في الأحكام الفقهية للإرث بأدلتها الشرعية، والثاني في معاهد الخلاف بين الأئمة في الفرائض، والثالث في حركة الوارث بين الفروض وحجب النقص والإسقاط والتعصيب، والرابع في أحوال الجد ومسائل المعادة، والخامس في الشواذ الست.

وأما الباب الرابع، فبعنوان "عمل الفرائض"، وهو الجانب التطبيقي في البحث، ويشتمل على سبعة فصول، الأول في كيفية وضع الفريضة وتأصيلها، والثاني في الأنظار الأربعة، والثالث في العول، والرابع في التصحيح بالانكسار، والخامس في المناسخات، والسادس في التقريط المنيبي الحديث، والسابع في الوصية.

وأما الخاتمة، فتشمل على خصائص الإرث في الإسلام ومميزاته، وعلى تحريض النبي صلى الله عليه وسلم على تعلم الفرائض وتعليمها، وعلى مؤلفات هامة خاصة بهذا العلم يجب التعرف عليها والرجوع إليها.

ونعتبر أن هذا الكتاب يعدّ خير مرجع لطلبة الفرائض، وأيضاً أداة عمل هامة في أيدي القضاة والمحامين والعدول، تعينهم على حلّ مسائل الفرائض الواقعية التي تعترضهم يومياً.

ولقائل أن يقول : إنّ كتب الفرائض كثيرة تعدّ بالعشرات بين مطبوع ومخطوط، فضلاً عن وجود أبواب في الفرائض في كتب الفروع الفقهية، فما مزية هذا الكتاب ؟ وما هي الإضافة التي يقدمها ؟ وللجواب عن هذا السؤال الهام أقول : يتميز هذا الكتاب على سائر كتب الفرائض الأخرى بعدة أمور منها :

1 - أفراد كلّ وارث بمبحث مستقلّ، تستقرّ فيه كلّ الحالات والأحكام المتعلّقة به، من بيان الفروض والتّعصيب وحجب النّقص والإسقاط، وقد ثبت بتجربة المؤلّف المرحوم، وبتجربتي المتواضعة في تدريس هذا العلم أنّ هذه الطّريقة توصل الطّالب إلى امتلاك ناصية الفرائض بيسر وسهولة.

وهذه الطّريقة أفضل من الطّريقة التّقليديّة القائمة على دراسة الفروض والتّعصيب وحجب النّقص والإسقاط كلّ على حدة، لأنّ الدّارس حسب الطّريقة القديمة لا يدرك سرّ الفرائض، ويصعب عليه هذا العلم نظراً لتفكك المعلومات عنده.

والملاحظ أنّ ما جاء مفترقاً حسب الطّريقة المذكورة في كتاب لباب الفرائض للشيخ الشّطيّ يجده القارئ مجتمعا في كتاب نظام الإرث بالنّسبة إلى كلّ وارث فتكتمل الصّورة حينئذ، ويفهم الطّالب دولاّب الفرائض.

2 - عمق التّحليل والمقارنات بين الورثة أثناء عرض الأحكام المتعلّقة بهم، والتّوجيهات والتّعليلات، وإبراز مقاصد الشّريعة الحكيمة، والتّنبهات والملاحظات التي لا يسلم الدّارس من الخطأ إلّا بعد الاطّلاع عليها.

3 - الجداول المفصّلة التي يلحقها المؤلّف المرحوم بآخر الكتاب، وهي جداول هامّة في الوارثين، وأصحاب الفروض، والفرض والتّعصيب، وحجب النّقص والإسقاط، ودورها إعانة الدّارسين على استيعاب القواعد والأحكام بوضوح، وهي أدقّ وأشمل من جداول لباب الفرائض للشيخ الشّطيّ رحمه الله.

ويظهر من كلّ ما تقدّم أنّ مساهمة الزيتونة جامعا وجامعة في خدمة فنّ الفرائض الشّريف ونشره بين الأجيال، مساهمة فعّالة، وأنّ جهودها في المحافظة عليه من الاندثار آتت أكلها، بحيث إنّ تخرّج العشرات من الفقهاء النحارير والفرضيّين البارعين، الذين يحسنون حلّ مسائل الفرائض السّهل منها والعويص، ضمن الاستجابة لكلّ الطّلبات الكثيرة للورثة الذين ينشدون الفريضة العادلة الصّحيحة فقها وحسابا وعملا، وتعين حقوقهم الثّابتة وحفظها من الضّياع.

وفي الختام، أشكر إدارة جامعة الزيتونة على رعايتها هذا اللقاء المبارك، وإتاحة هذه الفرصة حتّى نعرّف بدور الزيتونة في المحافظة على فنّ الفرائض الشّريف.

ولم يبق لنا إلّا التّرحّم على شيوخ الزيتونة وفرضيّهم، رحمهم الله تعالى، وجازاهم خيرا على جهودهم المثمرة في خدمة العلوم الشرعيّة الشّريفة.

قائمة المصادر والمراجع

- سركيس (يوسف) * معجم المطبوعات العربية والمعرّبة. مطبعة سركيس، مصر، 1346 هـ / 1928 م.
- سلام (المرحوم محمد عزّ الدين) * نظام الإرث في الإسلام. تقديم وتحقيق : د. فتحي العبيدي، المطبعة العصرية، تونس، 1428 هـ.
- شام (محمد) * ترجمة الشيخ محمد الصادق الشطي، مطبوعة في أول كتاب الغرة في شرح فقه الدرة للشيخ الشطي، مطبعة الإرادة، تونس، ط2، 1375 هـ.
- ابن أبي ضياف (أحمد) * إتحاف أهل الزّمان. نشر كتابة الدولة للشؤون الثقافية والأخبار، تونس، 1963 م .
- ابن عاشور (محمّد طاهر) * أليس الصّبح بقريب. الشركة التونسية للتوزيع، تونس، د.ت.
- العبيدي (فتحي) * ابن يالوشة وإبراهيم المرغني. مقالان معدّان للنّشر بموسوعة أعلام العلماء العرب والمسلمين، المنظّمة العربيّة للتّربية والثّقافة والعلوم.
- ابن عرفة (محمد) * التّفسير برواية الأبّي - دراسة وتحقيق : د.حسن المتاعي، نشر مركز البحوث بالكلية الزيتونية، ط 1، تونس. 1407 هـ / 1986 م.

- ابن فرحون (إبراهيم) * الديباج المذهب، مطبعة السّعادة، مصر، ط 1، 1329 هـ.
- قرين (أرنولد) * العلماء التّونسيون، (1873 هـ / 1915 م) ترجمة حفناوي عمّايريّة وأسماء معلى، المجمع التّونسي بيت الحكمة، دار سحنون، ط 1، 1416 هـ / 1955 م.
- المنستيري (محمد المنصف) * ترجمة الشّيخ محمد الصادق الشّطي، مطبوعة في أوّل كتاب لباب الفرائض للشّيخ الشّطي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1408 هـ / 1988 م.
- النيفر (محمد الشاذلي) * قطعة من موطأ ابن زياد: دراسة وتحقيق، الدار التّونسيّة للنشر، تونس د.ت.
- تراتيب الدراسة بجامع الزيتونة، 1292 هـ، 1330 هـ، 1364 هـ.